

في الواجهة

الرمادي وجريان التاريخ

عامر محسن

قبل أن تكتسب محافظة الأنبار اسمها الحديث، في أواسط القرن العشرين، كانت تدعى غالباً «لواء الرمادي»، على اسم حاضرتها «الجديدة»، أو «لواء الدليم» تبعاً لأكبر تكتلاتها القبلية. على الرغم من أن الأنبار احتوت تاريخياً على حواضر لها تاريخ مديني متصل منذ قرون عديدة، كعانة وهيت، إلا أن الرمادي، و«سنجق الدليم» عموماً كانت من نتائج سياسة التحديث العثماني في القرن التاسع عشر، ورائدها الوالي مدحت باشا.

كان مدحت باشا هو من مضّر الرمادي، أي جعلها مدينة ونظّمها وقونها، مع أن البلدة ظلت صغيرة لم تزدهر وتتوسع إلا بعد ذلك بنصف قرن أو أكثر، حين افتتح طريق السيارات بين بغداد ودمشق في العشرينيات وصارت الرمادي محطة الرئيسية، أنشأ مدحت باشا «سنجق الدليم» كوحدة إدارية في محاولة لتمدين القبائل، وتفكيك الامارات العشائرية و«استيعاب» شيوخها في الدولة، عبر جعلهم ملاك أراضي (بالقانون والطابو، لا بحق الدم والارث والشعاع)، وشخصيات بغدادية لا اتصال لها بأبناء عشيرتها وعاداتهم وحياتهم اليومية.

يحتفظ الأرشيف العثماني برسالة مدحت باشا إلى أمير شمر (العشيرة الكبرى التي هجرتها الغزوات الوهابية من موطنها في نجد إلى العراق، وقتل شيخها الأسطوري مطلق الجريا وولده في معاركهم مع ابن سعود) وهو يعرض عليه إقامة «سنجق شمر» - بين تكريت والموصل - على شاكلة - سنجق المنتفق في الجنوب وسنجق الدليم في الغرب. كما نجد في الأرشيف نفسه رسالة من الوالي يصف فيها استراتيجيته لتمدين العشائر محاججاً بأن الحياة المدنية المستقرة هي الشكل الأرقى للوجود الانساني، والتحصير يجب أن يكون هدف الدولة.

هذه الاجراءات كانت تسير في طريق النجاح، كما تشهد العديد من الرسائل من مشايخ السعود وغيرهم وهم يشكون من أن عمالهم والفلاحين لم يعودوا يعترفون بحقوق ملكيتهم، ويستأثرون بالأراضي التي يزرعونها، ويرفضون دفع الربيع للشيخ الغائب (منذ عقود) في بغداد. إلا أن الاستعمار البريطاني عكس الآية، وأعاد الاعتبار للشيوخ كحلفاء أساسيين للنظام، وأفسح لهم المجال لإعادة بناء نفوذهم واستملاك الأراضي (بالقانون وخارجه)، فكان شيخ مشايخ شمر، عجيل الياور، أكبر ملاك الأراضي في العراق بلا منازع مع رحيل الاحتلال وخلفه رطم من شيوخ العشائر وعملاء الدولة (وهنا أمثلة مفيدة لمن يصمّر على سرية التخلف العثماني والتمدين الأوروبي).

هكذا هو تاريخ بلادنا تشكياً لتاجتماعية تصعد وتؤدي وتحول، وعشائر تسود وتمتد، أو تنهزم فتهاجر وتحمل موطنها وأساطيرها معها. الحرب التي تدور اليوم في الرمادي هي مفصل تاريخي جديد لن تظل الأمور بعده كما كانت من قبل، وأكبر ضحايا هذه المراحل، عادة، هو من لا يملك ذاكرة تاريخية ويفترض - بحكم العادة - أن الأمور ستظل دوماً كما ألفها. الرمادي الآن في يد تنظيم «الدولة»، وأهلها مهجرون ومشتتون في أرجاء العراق، فيما من يستغلهم وينطق باسمهم - من الخارج - يبتهج لغزوات «الدولة»، ويخطط لمشاريه الخاصة بالتآمر مع واشنطن وغيرها من أعداء العراق (وهم يطمون بأن هناك من سيسمح لهم بإقامتها طالما لا يزال هناك عراق ووطن وشعب).

الرمادي ستعود إلى العراق، وسترجع طريقاً إلى الشام وعقدة وصل عامرة، في عهد جديد قادم، يتذكر الناس فيه أيام البغدادي الكالحة كما يذكرون الغزوات الوهابية التي سبقتها؛ ولن يتذكر أحد مشعوزي الخليج وصغارهم في السياسة والأعلام، الذين دمروا العراق في الماضي القريب، ثم تأمروا على إسمائه وتعذيبه وتفتيته - فالتاريخ سيجرفهم في طريقه.

عون - الحريري: حوار البخار

بعد جولات تكتل

التغيير والاصلاح على الكتل
النيابية احسن لشرح موقف

الرئيس ميشال عون من

المرحلة المقبلة، في ضوء

اقتراحات الجمعة، وتلويحه

بمبالا ينتظر، تبدو الخيارات

المعاكسة، أكثر اندفاعا

وجدية، وربما أكثر صدقية

نقولاً ناصيف

قد لا يكون من السهل ابصار تلويح الرئيس ميشال عون بخطوات سلبية تجبه حكومة الرئيس تمام سلام قريباً على نحو ما وحي، واطهر عجلة في امره منها، مقدار ما يبدو مستعجلاً على الاستحقاقات تحت عبء الوقت، يتصرف بتان في المواجهة وحساباتها وتلقف رد الفعل.

على ان خبارات ثلاثة مغايرة - بل مناقضة - تظهر وشيكة اكثر من ذي قبل:

1- تأجيل تسريح قائد الجيش العماد جان قهوجي للمرة الثانية، في مدة مماثلة لتأجيل التسريح الأول - وهي سنتان - عندما اصدر الوزير السابق للدفاع فايز غصن في 12 ايلول 2013 قراره، وكانت حكومة الرئيس نجيب ميقاتي اiban تصريف الاعمال، يبدو تأجيل التسريح الثاني لسنتين اخريين تنتهيان في ايلول 2017 - وهو الحد الاقصى الذي يمكن قائد الجيش البقاء في الخدمة (44 سنة) - قاطعا ونهائياً، على وفرة الضغوط التي يمارسها عون على حكومة سلام للحوول دونه. على ان القرار بين يدي وزير الدفاع سمير مقبل وحده.

بالتأكيد بات من باب الاوهام الاعتقاد بان معظم الاقراء اللبنانيين، في قوى 8 و14 آذار على السواء، لا يزالون يتمسكون ببقاء

قهوجي في قيادة الجيش، كموطيء قدم لبقائه في السباق الى انتخابات الرئاسة. لا هذه، ولا تلك. بيد ان لا بديل منه حتى الآن. لا شعور في المنصب، لا ضابط غير ماروني يحلّ فيه ايا تكن الذريعة، لا قائد جديداً للجيش بسبب تعذر التوافق عليه. كل ذلك يجعل تأجيل التسريح ضرورياً حتى اشعار آخر. في الشكل يستمر قهوجي ما دام لا خيار سواه الى ان يُنتخب رئيس للجمهورية، ان ذلك يصبح انتهاء خدمته حتمياً. على ظهر تلك الاوزار يستمر في موقعه.

2 - لن يقول تيار المستقبل الآن ومستقبلاً، حتى تشرين الأول في احسن الاحوال، نعم لتعيين قائد فوج المغاوير العميد شامل روكز قائداً للجيش. بالتأكيد سيتكمن من ابقاء اليد على المديرية العامة لقوى الامن الداخلي وتأجيل تسريح اللواء ابراهيم بصبوص، على الأرجح في 6 حزيران، بقرار من وزير الداخلية نهاد المشنوق بسبب تعذر توافر نصاب الثلثين لتعيين آخر. لا يربط تيار المستقبل بين تعيين خلف لبصبوص وتعيين روكز قائداً للجيش، بعدما ولى الى غير رجعة التعهد الذي قطعه الرئيس سعد الحريري لعون بمجاراته في هذه المقايضة.

كان ثمة الكثير دار في الحديث، في بيت الوسط، عندما نزل عون ضيفاً على الحريري مساء 18 شباط الماضي، وكان من مناسبة لمعاودة الرئيس السابق للحكومة سلفه الرئيس السابق للحكومة في العيد الثمانين. على ذمة الرواة الواسعي الاطلاع، دار بين الرجلين

حوار مهم حينذاك.

قال الحريري انه حائر بين العميد عماد عثمان وسمير شحادة لترؤس المديرية العامة لقوى الامن الداخلي. كلاهما يحظى بتأييد مراكز قوى في تيار المستقبل، بيد ان الثاني تلح عليه عمته النائبة بهية الحريري. واكد انه لن يبت اياً منهما في انتظار اتضاح رجحان الكفة قبل الوصول

بالاسم الى مجلس الوزراء. ردّ عون باعلان دعمه اياه في من يختاره لذلك المنصب، الا ان لديه مرشحاً واحداً لقيادة الجيش هو العميد شامل روكز.

بدوره الحريري ايد ترشيح روكز، وطلب من عون ابفاده اليه في اليوم التالي، للتعرف اليه. لم يسبق ان عرفه قبلاً.

اليوم التالي زار قائد فوج المغاوير بيت الوسط، وحصل التعارف بينه والحريري.

اغضبت المقايضة رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع، فلوح بالخروج من تحالف قوى 14 آذار في حال الاتفاق على روكز قائداً للجيش. في روحية رسالة جعجع الى الحريري لثنيه عنها، اياهاؤه بأنه لن يوافق على تكرار تجربة عون في قيادة الجيش بين عامي 1988 و1990 من خلال صهره العميد روكز. وهو ما بلغ الى عون بالذات.

طمأن الحريري حليفه الابرز في الائتلاف برسالة جوابية، انطوت على تخليه عن تلك المقايضة واصرارها على استمرار تحالف قوى 14 آذار: استقبالي اياه للتعرف اليه، ولا يعني موافقتي على تعيينه.

لم تكن المرة الاولى يدرك رئيس كتل التغيير والاصلاح تنصل رئيس تيار المستقبل من تعهد قطعه له، على مر جولات طويلة من التفاوض المباشر وغير المباشر بينهما.

ما يعنيه ذلك كله، ان قائد فوج المغاوير يوشك على فقدان فرصة تعيينه قائداً للجيش من الآن حتى موعد احواله على التقاعد في تشرين الاول، تبعاً لمبررات ثلاثة على الأقل:

توقع تأجيل تسريح قهوجي للمرة الثانية قبل ذلك الموعد بكثير. يتردد ان هذا الخيار ليس مطروحا

وأشارت المصادر إلى أن «الجملة كانت انطلاقة جيدة، وسمع الوفد إيجابيات وتشجيعاً لما طرحته مبادرة عون، لأن الجميع باتوا على اقتناع بضرورة الانتقال إلى خطوات عملية والضغط لانتخاب رئيس للجمهورية، إضافة إلى أن القوى المسيحية واعية لأهمية الموقف الموحد من قانون الانتخاب، والتعيينات والتمثيل المسيحي في الإدارة. وقد جرى نقاش موسع حول الآليات التي تحددها المبادرة، وخصوصاً لجهة انتخاب الرئيس ومواصفاته». وأكدت المصادر أن «الراعي أيد فكرة إجماع القوى المسيحية على موقف موحد، إذا كان هذا الأمر يؤدي إلى

وغيرها من بنود رئيسية. إلى ذلك، باشر التيار الوطني الحرّ ببحث الاقتراحات التي قدمها رئيسه النائب ميشال عون لحل أزمة الشغور في رئاسة الجمهورية خلال مؤتمره الصحافي الجمعة الماضي. وبدأ وفد من «كتل التغيير والإصلاح» بزيارة القوى المسيحية الرئيسية، في جولة أولى وصفتها مصادر التكتل بـ«المشجعة والإيجابية». الوفد الذي ضم النواب إبراهيم كنعان وفريد الخازن وسليم سلهب ونعمة الله أبي نصر وآلان عون، افتتح جولته بزيارة البطريرك بشارة الراعي، فرئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع، ثم الرئيس أمين الجميل.

للمساومة في هذا الطرف بالذات. تمسك تيار المستقبل بمعارضة تعيين روكز، ومنع مقارنته في مجلس الوزراء قبل انتخاب الرئيس. طي صفحة مشروع قانون تعديل سن التقاعد الرائد في ادراج الامانة العامة لمجلس الوزراء منذ كانون الاول، بعدما اظهر التشاور من حوله انه لا يحظى بالتوافق المطلوب بما يتيح اقراره في حكومة سلام. ناهيك بانتهاء العقد العادي الاول لمجلس النواب بعد اقل من اسبوعين، وذهاب البرلمان في اجازة طويلة حتى العقد العادي الثاني في منتصف تشرين

الحكومة تتفق على «البيدهيات» وإرجاء «الضروريات»!

انتخاب رئيس في القريب العاجل». وفيما طرح الجميل «فكرة إجماع القيادات المسيحية الأساسية»، دعا جعجع إلى «بحث عملي في آليات التنفيذ لاتخاذ المواقف المناسبة من المبادرة». وذكرت مصادر القوات أن «أجواء اللقاء كانت إيجابية والبحث سيستمر بعد انتهاء وفد التكتل من جولاته». وينتظر التكتل، بحسب المصادر، انتهاء جولة موفديه، لترجمة «عملية» لما سمعه وسيسمعه من القيادات، لـ«وضع خريطة طريق عملانية للمرحلة الثانية». ويזור وفد من التكتل اليوم الرئيس نبيه بري والنائب سليمان فرنجية.